

١٤٣١هـ

أهمية عمل القلب للحاج

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

<http://tafaregdros.blogspot.com>#!/#

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

<http://www.muslimat.net>

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضاه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأل الله عزّ وجلّ بمنّه وكرمه أن يجعل هذه الاجتماعات اجتماعات مباركة، وأن يجعل هذا الحج لنا ولكم حجًا مبرورًا، نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المقبولين في هذا الركب اللهم آمين.

أبدأ لقائي بالكلام عن الأمر المهم الذي من أجله اجتمعنا في هذا المكان المبارك ألا وهو هذه الشعيرة العظيمة شعيرة الحج، وما المقصود منها وماذا وراءها؟ نحن نقوم بأعمال بدنية

لكن الأصل في هذه الرحلة رحلة قلب

المقصود من الحج قلوبنا فلا بد أن يكون لدينا فقه في المناسك (أعمال الأبدان)، وفقه في القلوب وقت القيام المناسك. وقت ما نقوم بالمناسك لا بد أن تكون قلوبنا في مكان كما أن أبداننا في مكان.

والدليل على أنه لا بد من قلوبنا: أنك ستجد النصوص والأدلة التي تتكلم عن عمل القلب وتعظيمه في الشريعة نصوص لا تحصى.

١. من أهمها على الإطلاق النص المحفوظ عندنا كلنا: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))^١.

فالمقصود من كل العبادات على الإطلاق أن يصلح قلبك.

مطلوب منك تخرج من الصلاة **قلبك فيه صلاح**، مطلوب منك تخرج من الصيام **قلبك فيه صلاح**، المطلوب تخرج من الحج **قلبك فيه صلاح**.

^١ متفق عليه.

لكن قبل أن تدخل للنسك لابد أن تعرف قلبك أين مكانه يجب أن يكون؟ وماذا تعبد الله في تلك اللحظة؟ أنت في عرفة، أنت في مزدلفة، أنت في منى، وأنت تطوف، وأنت تسعى، ماذا يجب أن يكون قلبك أين مكانه؟

ستكلم **أولاً عن عبودية القلب** هذه العبودية المغفول عنها، لأننا لما نأتي نقول ونتكلم عن الحج سنرى من جهة عبودية البدن لا توجد عبودية بدن، مجرد انتقالات، تنتقل من هنا إلى هنا، نعم يوجد مشقة لا يمكن أن يأتي حج بدون مشقة، لا يمكن مهما وفرت وسائل الراحة لابد أن يُبتلى الإنسان بمشقة من حيث لا يحتسب لأن هذه سنة الله، وعشرة أيام الحج أو خمسة أيام الحج هي صورة مصغرة عن الحياة.

فهل رأيت حياة عبد خالية من المشقة؟!

الخمسة أيام هذه ليس مثل رمضان تصفد فيها الشياطين، بل تبقى الشياطين مطلقة كما هي، لماذا؟ لأنها صورة حياة العبد في الحياة، خمسة أيام مثل كل الحياة، لازالت الشياطين موجودة ليس مثل رمضان، رمضان كأنه شيء من الاستراحة الجزئية من الشيطان، ليس كل الشياطين تصفد في رمضان بل مردتها كبارها، لكن في الحج لا يوجد تصفيد للشياطين، فكأنك ستجاهد كل شيء، لابد تجاهد نفسك، تجاهد الأحوال التي حولك، هذا كله يمثل لك الحياة.

كأنه يقال لك: أنظر هذه الخمسة أيام والعشر أيام **ستكتشف نفسك**، ستكتشف الأمراض الموجودة في القلب وتحتاج إلى علاج، والمطلوب تخرج أنت مكتشفها وأيضاً معك العلاج، من أين؟ من نفس الخمس أيام، نكتشف المرض ونأخذ معنا العلاج طول الحياة.

٢. في الحديث: ((لِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))^٢ فمعناها القلوب محل نظر الرب، نستحي أن ينظر الله إلى قلوبنا وفيها من الخبث والتعلق بالدنيا وفيها من الأمراض ما فيها، لابد أن تطهرها لأنها مكان نظر الرب.

^٢ "صحيح مسلم" (كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم ظلم المسلم وخذله واختناره وذمه وعرضه وماله / ٦٧٠٧) .

إذا الأدلة على وجوب العناية بالقلب

* حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ)) نحن أتينا هنا لمدرسة الإصلاح (إصلاح القلوب).

* ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)) إذا كانت القلوب محط نظر الرب لا بد أن نبذل جهودنا في إصلاحها.

* أيضًا تجد في آيات الحج كلام طويل عن القلب.

وإن شاء الله خلال اللقاءات القادمة سيكون تأملنا في آيات سورة الحج، لأننا أمرنا بتدبره، ولما أمرنا بتدبره كان هذا الأمر يناسب كل الأحوال، فلما تدخلين على الصيام من المفروض أن تقرئي آيات الصيام في القرآن، ولما تدخلين على الحج من المفروض أن تقرئي في آيات الحج بل سورة الحج، فهي العبادة الوحيدة التي سميت بها سورة.

لما تقرئي في آياتها سيتبين لك أن الحج هو صورة الحياة المصغرة و أيضا صورة المحشر المصغرة.

وإذا نظرنا إلى الآيات التي تتكلم عن القلوب ﴿وَتَكَزَّوْا﴾ أي في الحج ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة: ١٩٧، التقوى أين مكانها؟ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((التَّقْوَى هَا هُنَا)). وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^٣، فمعناها كما أننا نتزود بحقية فيها تفاصيل حاجاتنا الدنيوية أمرنا بذلك تزود لكن لا بد تعرف ماهو خير الزاد الذي يوصلك إلى ربك؟ **التقوى**، التقوى وأين مكان؟ **في قلبك**.

وأنت آت إلى الحج تحتاج التقوى، وأنت خارج منه كأن حقائبك كلها وقلبك الذي هو محل نظر الرب امتلأت بهذا الزاد، المفروض نرجع بمعاني تقوى، نحن نأتي ومعنا تقوى لكن ليست بكمية التقوى التي سنعود بها.

لكن هل كل الحجاج سيعودون معهم هذا الزاد ألا وهو التقوى؟ الجواب: لا

^٣ "صحيح مسلم" (كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم ظلم المسلم وتخذه واختقاره وذمه وعرضه وماله / ٦٧٠٦) .

لذلك عمر رضي الله عنه كان يقول: "الركب كثير" أي الذين ركبوا من أجل أن يحجوا كثير "والحجاج قليل" أي الذين حجوا على الحقيقة وعادوا مقبولين قليل، هذا ليس تقيسًا، هذا تعليمًا، لما أحد يعرف الطريق يستطيع أن يسير فيه كما ينبغي.

نمّر على أعمال الحج وأعمال القلب..

غالبكم متمتعين، ماهو التمتع؟ هو الجمع بين عمرة وحج في سفر واحد مع التحلل بينهم.

أنت تطوف وتسعى، والطواف حول البيت والسعي في المسعى يعلمانك أمر غاية في الأهمية من جهة قلبك وهي:

أن تبقى حياتك كلها تطوف حول رضاه، تطوف تطلب رضاه.

فنحن كل ما نحبه ندور حوله، كيف عندما تحبين ساعة أو تحبين لبس، ماذا تفعلين؟ بفكرك تدورين حوله، وبمواصلاتك تدورين حوله حتى تصلي للمكان، وبيحثك وتفكيرك تدورين حوله، فلما تأتين للحرم يقال لك:

طوفي حول رضاه، واسعي السعي طويل، وابذلي الجهد من أجل تحصيل رضوانه ومغفرته سبحانه وتعالى.

ثم أنك لا بد أن تنحدرين وأنت تطلبين مرضاته، لا بد أن تأتي مواقف ماذا يحصل بها؟ ينحدر الإنسان فيقال لك في الخدارك أسرع، لا تبق طويلا.

هذا الوادي مكان العلمين هو الوادي الذي كانت هاجر لا ترى فيه إسماعيل عليه السلام، فكانت تهرول وتطلع من هنا جبل ومن هنا جبل وبعد هذا وادي.

هذه هي نفس صورة سعي الناس في طلب رضی الله عزّ وجلّ!

المفروض كأنه يقال لك القلوب كلها من المفروض أن تطوف حول رضاه وتسعى إلى مغفرته وتحفد، تحفد أي تبذل الجهد، نحن في السعي نبذل جهدا أكثر من الطواف، فكأن القلب هنا يتعلم أن يبقى طائفا حول مرضاته.

ثم أن كل شيء ينتهي، طوافك ينتهي، وسعيك ينتهي كما أن الدنيا كلها لا بد أن تنتهي.

هناك معلومات كثيرة نخرج بها من الطواف والسعي وخصوصا السعي.

عبادة التوكل.. عبادة أنّ الله عزّ وجلّ هو الذي يغيث الخلق، كأنك تقول: أنا أسعى يا رب لك يا مغيث أن تغيثني في الدنيا والآخرة.

غير ذلك من الدروس كثيرة لكن هذا مجرد إشارات ليبقى في قلوبنا أنه لا بد أن يعبد قلبك، **القصة كلها أن يعبد قلبك.**

أتعلم أن طوافك في الأرض مثل طواف الملائكة حول البيت المعمور، وأيضا حول العرش. فكأنه يقال لك: شُرفت، كرمت، زُفعت أن جعل الله عزّ وجلّ طوافك هنا مثل طواف الملائكة حول البيت المعمور.

أولئك تامي الطهر وأنت ابذل جهودك أن تجعل هذا المكان لتمام طهرك، حتى تجعلوا لتمام طهرك أدخل وأنت تائب، **لأن الطهارة**

البدنية بالماء، والطهارة القلبية بالتوبة.

فلا تدخل الحرم وأنت منه خائف، أو يكون تفكيرك في الزحام، أو تفكيرك في إلقاء الحِمل عنك هذه المشاعر تسبب إعاقات قلبية. كم من أشخاص أول ماتقف عندما تنزلين من الدرج وتنظرين للطواف أول مشاعر تأتيك زحام، ثم تضعين قدمك في الطواف يوسع لك الواسع، **وتسيرين ما دام قلبك معلق بالله.**

ثم أنك تعبد الله بعبادة حسن الظن

وهذه عبادة عظيمة أن تبقى مقبلاً على طوافه وسعيه ورمي الجمرات وعلى المبيت في منى وعلى البقاء في مزدلفة وعلى المكوث يوم عرفة، تقبل وقلبك محسن الظن بالله أن لا بد من ضيق بعده سعة، لا بد من نقص بعده كمال، هكذا الدنيا لا يمكن أن تبقى دائما على كمال.

الكلام كثير حول الطواف والسعي والعبادات القلبية التي تكون فيه، لكن يبقى المهم قلبك لا يتعامل مع الطواف والسعي على أنه همّ تريد أن تتخلص منه!.

إنما شرف أن تطوف حول هذا البيت العظيم، شرف أن تلحق الملائكة في لحظات.

شرف من الله عزّ وجلّ يسره لك، ثم لا تتصوّر أنك حججت بملك رأيك، **إنما حججت لما أذن لك الملك فأنت تحت إذنه، ما تستطيع الأمر.**

وأنت تعرف أن كثير من الناس أرادوا أن يحجوا في آخر لحظات ما استطاعوا، وكثير ما كانوا سيحجون ثم في آخر اللحظات كتبت لهم هذه الحجة، حتى تعرف أن الحجة هذا إذن وردنا على هذا الإذن وعلى هذا النداء، أن نقول له سبحانه وتعالى: **لييك اللهم لييك!**

لييك ها أنا أستجيب لك، وليست أي استجابة، فكلمة لبيك ما تقال إلا لمن نحب.

فلما يناديك أحد وأنت تحببته تقولين له: لبيك، ثم لبّ في المكان أي أقام فكأنك تقول له: يا رب أنا ألبّي نداءك أستجيب له وأنا محب مقيم على طاعتك.

والعرب تقول: أخذه من تلايبه، كأنني أقول: أنا منقاد، لبيك وأنا محب مقيم على طاعتك منقاد لك.

العرب تقول: امرأة لبة أي امرأة محبة.

فأتى الحب، وأتى الانقياد وأتت الطاعة والذل هذه كلها في كلمة واحدة (لبيك)، يقابلها شعورك أن منة من الله جعلتك تكون ممن يليه، منة من الله أنك في الآخر تستطيع أن تقول: لبيك اللهم لبيك.

ناداك ويستر لك سبل الوصول إليه، فلا تعامل القرب منه على أنها هموم، لأن غالب الحجاج تجرد عليهم هذه السمة، يتكلموا كلمات (دعونا نطوف ونخلص، دعونا لنسعى وننتهي، دعونا نرمي الجمرات ونتخلص!) هذه الكلمات تشعر أن عملاً ثقیلاً ستقوم به وليس شريفاً عظيماً ستناله، وهذا فارق شاسع بين الطوافين وبين السعيين.

لا بد أن تشعر أن شرفاً عظيماً أن تكون في بيته، شرفاً عظيماً أن تطوف، شرفاً عظيماً أن تسعى، شرفاً عظيماً أن جعل لك في السعي هذا سبع مواطن في السعي إذا سألته أجابك. في سبعة مواطن، فأنتم في السعي تستقبلون القبلة جهة القبلة ثم أنكم تكبرون وتقولون:

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده".^٤

ثم تدعون بما تشاءون وهذا وقت إجابة، ثم تقولين هذا مرة أخرى ثم تدعين بما تريدين وهذا وقت إجابة، ثم تقولينه مرة ثلاثة، ومثله في المروة، ومثله في الصفا سبع مرات، هل مثل هذا يعامل بالتشاقل؟!^٤

فرصة .. كأنه قيل لك: فتح لك باب الملك ياعبد، قف واطلب ما أردت، كيف تعامل باب الملك بالثقل؟!^٤

^٤ رواه أحمد في مسنده، و السنن الأربعة إلا الترمذي، وصححه الألباني.

لو أسألكم : في حياة الخلق إذا قيل لهم مثلاً نحن عندنا في المملكة إذا قالوا لهم تعالوا غداً الملك فتح بابيه الذي يريد أن يعطيه، وإذا قيل لكم أيضاً الأمير موجود تعالوا ليعطيكم، كم ستحملين من فرح في قلبك؟! وكم من مطالب ستكون موجودة في عقلك؟ فرح قد لا نبات تلك الليلة التي قالوا لنا عليها.

فكيف لما يقال لك باب الملك مفتوح؟! لا بد أن يشعر العبد بفرح مع الفخر أنه سيقف بين يدي الملك.

لكن مشاعر العبودية، مشاعر أنه الرب الملك الإله هي التي تنقص في قلوبنا، مع أننا طول الوقت نقول : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ

﴿ ١ ﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿ ٢ ﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿ ٣ ﴾ النَّاسِ : ١ - ٣ . أين هذه؟ أين ملك الناس؟ أين شعورنا أنه الملك ونحن العبيد الأذلاء؟ أين شعورنا وهو الملك الذي بيده ملكوت كل شيء؟! السموات والأرض كلها بما فيها من ملكوت كخردلة في يمين الرحمن سبحانه وتعالى، رأيت الخردلة عندما تضعها في يمينك؟ كل هذا في يمين الرحمن كخردلة في يمين أحدكم. كيف نكون نحن محيطين بالخردلة من كل جهة وكيف هي بالنسبة لأيدينا لا شيء! كذلك السموات والأرض في يد الملك. ثم يقال لك ادعوني استجب لكم، ثم يقول لك هل من سائل فأعطيه مسألته.

في حديث نزول الرب سبحانه وتعالى في الثلث الأخير من الليل، فيه لفظة : ((أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له))^٥ . فنحن نحتاج هنا وفي كل مكان إلى تجديد مشاعر العبودية، أننا عبيد منكسرون بين يدي الملك يقلبنا كيف يشاء، فلا يكون كرمه معنا وحلمه سبحانه وتعالى علينا يسبب لنا أن نعتز، يجب أن نكون من أهل التقوى وهذه أهم مقاصد الحج:

أن تأتي تقياً وتخرج أكثر تقوى.

ننتقل من الطواف والسعي إلى منى ثم انتقلنا إلى عرفة ثم انتقلنا إلى مزدلفة. منى حرم، و أيضاً مزدلفة حرم، و عرفة حل. انتقلك إلى منى التي هي حرم، نصلي فيها الظهر والعصر و المغرب والعشاء والفجر، هذه كلها تكون في منى، ثم نصلي الظهر في عرفة إن شاء الله. نسأل الله التيسير لنا ولجميع المسلمين.

^٥ المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم

بقاؤك في منى شعور أنك في حرم الملك على بساطه، هذه الأرض مكة ومنى ومزدلفة، لا تعاملها مثل أي أرض لا بد أن يكون في قلبك تعظيم لها، هذه أماكن حُرْم، هذا هو بساط الملك.

يعني ممكن أن نعمل أعمال خارج الحرم وهي ممنوعة حرام، أو أقل من حرام مكروهة، لما تأتي في الحرم تعظم حرمتها، تصبح عظيمة، الخطأ هنا ليس مثل الخطأ في الحل. وهذا يجعلك تشعر أن هنا في مكة في منى قلبك يتقي أن يقع حتى في الأمور البسيطة، لماذا؟ لأنك على باب الملك في بساطه، الحرم و أنت في بساطه ليس مثل الحرم وأنت في الحل.

ولهذا، أنظري نحن نترك أصلاً أشياء مباحة في أصلها، لما تدخل في النسك تترك قص الشعر، تترك قص الأظافر، تترك التطيب، كل هذه مباحات، لكنها لما أتيت هنا ودخلت في النسك أصبحت في حقل ممنوعة. فمن باب أولى ماذا سيكون ممنوع؟ التي هي أصلاً محرمات أو مكروهات أو أسباباً للفتنة، لذلك لا تفكر بتفكير أنك تقول أنا أصلاً أفعل هذه الأفعال، أو مثلاً أنا أصلاً ما أعطي وجهي في البلد، فأنا هنا مثل في بلدي لا أكذب على نفسي!

نقول لا نخطئ هذا الخطأ، الشيء الذي يكون في أصله درجة من الاختلاف أو الكراهية هنا يصبح حكمه أعلى، ففتنة الرجال هنا أعظم من ارتكاب هذا المنكر في الخارج، الكلام اللغو هنا يصبح حده أعلى من حده في الخارج.

سنجمع ثلاثة أمور:

١. مكان عظيم يجب أن نعظمه.

٢. نسك عظيم أنا دخلت فيه يجب أن أعظمه.

٣. زمان عظيم يجب أن أعظمه.

اجتمع لك ثلاث حرمت، حرمة الشهر الحرام، وحرمة المكان الحرام الذي هو منى، والأمر الثالث حرمة النسك الذي أنت بداخله.

لو أحد أتاناً بدون نسك من الذين يعملون من دون نسك، ماذا سنقول؟ اجتمع في حقه حرمتين، حرمة المكان والزمان، نحن نزيد عنه بحرمة النسك. كل هذه الحرم كأننا نقول تأدب استقم، لا تفعل أنواع من المخالفات، لا تضيع الأوقات، إنما تجعل رمي الجمرات، والوقوف بعرفة، وأعمال النسك كلها لإقامة ذكر الله.

فكأنه تقول أهم شيء عندي الآن أن يبقى لساني ذاكراً، ما أذكر شيئاً إلا الله، كأنه يقال لك انس كل شيء إلا ذكر الله، هل ذكر الله سيكون باللسان؟ أم بالقلب واللسان؟ أم بالقلب فقط؟

سنقول هناك طريقان للذكر:

أحسن شيء أن يلتقيان.

■ يبدأ الطريق من القلب، قلبك يبقى ذاكراً لطلب رضاه، قلبك يبقى مشغولاً يتفكر في لقاءه سبحانه وتعالى، قلبك ذاكراً لله، ولكن لسانك صامت هذا طريق.

يضج في قلبك التفكير إلى أن ينطق لسانك واضح لكم هذا الطريق، فتبقى متأملاً منكسراً ذليلاً، مثل أول سورة الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج: ١.

فشيء من التفكير يجعل قلبك الذي يفكر يوصل إلى لسانك كلمة استغفر الله، تبت إلى الله، لا إله إلا الله، الله أكبر، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هذا من الداخل إلى الخارج، تفكير هنا في الداخل خرج على اللسان ذكراً.

■ طريق آخر: تبقى تذكر، تكثر الذكر إلى أن يثقب هذا الذكر الذي على لسانك ماذا؟ قلبك.

فهذا طريقين أما نبدأ من هنا أو نبدأ من هنا في النهاية

اترك ذكر كل شيء إلا ذكر الله.

المقصود هذه الأيام من تعظيمها أن تترك عنك الالتهاء، ﴿الْهَيْكَلُ الثَّكُورُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ التكاثر: ١، فكأنه يقال لك أقطع

عني في الحج الالتهاء. عندنا أسباب كثيرة للالتهاء الآن، حتى في الحج هناك أسباب كثيرة تسبب لي الالتهاء، وجود الجماعات، وجود الكلام، وجود الانتقالات، الانتقادات، هذا كله يسبب الالتهاء.

أنت كلما أتت رباح الالتهاء صُدها بذكر الله. ما المطلوب من قلبك وأنت في منى؟

الحديث ((أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ))^٦، الحديث الثاني الكامل يبين لك المعنى ((أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكَلٍ ، وَشُرْبٍ ، وَذِكْرِ اللَّهِ))^٧.

قال أهل العلم ، الأكل وشرب استعانة، سببين لذكر الله.

أول ما نصل منى يوم الثامن: هذا يوم الاستعداد، لا نستطيع أن نجتمع قلوبنا في عشية عرفة أي بعد صلاة الظهر والعصر إلا إذا قدمنا بين يدي هذا اليوم طاعات. لا تتصور أنه لما ينزل الرب في عشية عرفة تستطيع مرة واحدة أن تجمع قلبك وتدعو، القصة كلها قلبك هل تجده أو لا تجده. فمن الآن من هذه اللحظة تحتاج أن تستعد، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، هذه اليومان عندنا كأنها رخاء، رخاء لا يوجد أعمال صعبة الحج عرفة.

اليوم التاسع يوم عرفة: ما معنى الحج عرفة؟ أي بداية الحج من عرفة، نحن في اليوم السادس، والسابع والثامن كله تحضير لعشية عرفة، بل قبل الظهر أيضاً يوم التاسع قبل الظهر تحضير للعشية أي لبعد الظهر وقت النزول، وقتما يباهي الله عز وجل الملائكة بالخلق.

احذر أن تسترخي هذه الأيام، الآن مطلوب منك كثرة الذكر كثرة الدعاء، أن يجمع الله عليك قلبك، كثرة قراءة القرآن، أهم شيء أن يبقى قلبك ولسانك مشغولان بذكره سبحانه وتعالى من أجل أن توفق في عشية عرفة لجمع قلبك. من أجل أن توفق، لأن هذا التوفيق ما يأتي من جهدك بل يأتي من توفيق الله.

من تعرف إلى الله في الرخاء عرفه في الشدة

توفق لجمع قلبك في عشية عرفة والدعاء على قدر بذل جهدك في هذه الأيام.

ولذلك انظر كيف الشريعة دفعتك إلى ذلك بدأتك بالأشهر الحرم، بدأت بذبي القعدة، كأنه يقال لك في ذو القعدة وأنت في بلدك اجمع ولم شعث قلبك. ثم ارتفعت الحرمه للعشر، العشر أيام من الشهر، إلى أن وصلنا إلى الواحد من ذي الحجة بدأ الجمع الزائد، ثم قمته يوم عرفة واليوم العاشر.

إذن لا تضيع اليوم التاسع بعد الظهر، لا تضيعه في أي شيء غير الدعاء وذكر الله، لا يلتفت قلبكم ولا عقولكم بمنة ولا يسرة، ثم اعلم أن أعظم الذكر:

^٦ "صحيح مسلم" (كتاب الصيام/ باب تحريم صوم أيام التشريق/ ٢٧٣٣).

^٧ رواه أحمد في مسنده، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم).

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلْكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ"

هذا الذكر يأتيك بمطالبك كلها، لا بأس ادع بما أردت، لكن لو لزمنا هذا الذكر لابد أن تعلم ما منفعته، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وَحَيْرٌ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^٨.

"هذا الذكر يجمع لك كل خير لماذا؟ أنت تصور أنك تدخل على الملك فيقول لك ماذا تريد؟ فأخر رقم عندك مليون، قلت أريد مليوناً هذا حال، وآخر يدخل على الملك فيقول له الملك ماذا تريد؟ يجيب (ما يليق بعظمتك)!

هناك فرق، فرق أن تحدد له أريد مليون وافرقتقول له أنا أخذ الذي يليق بعظمتك، فإن كان عظيم أعطاك ما يناسب عظمته. فكيف بك وأنت تدخل على ملك الملوك، تدخل على الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، كيف عندما تدخل عليه وتقول له لا إله إلا أنت، أنا ليس لي إله أحبه وأطلب منه وأنكسر بين يديه وأعلم أنه حكيم وأعلم أنه كريم وأعلم أنه يعطيني فوق ما أريد إلا أنت، ليس لي إلا أنت يا ربنا! وأنا أعلم أنك كامل الحكمة كامل القدرة.

على كل حال لو أكثرت من الدعاء مثل (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) كل هذا خير عظيم.

لكن لابد أن تشعر أن أعظم الدعاء هو ما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، المقصود أن قلبك هو الذي يسافر إلى ربك في هذه الرحلة وليس بدنك لأن بدنك فقط يتحرك، والقلب هو الذي يعبد.

فاجمع قلبك على صفاته عشية عرفة، لن تستطيعها وأنت في هذه الثلاثة أيام تائه كثير الكلام وكثير اللغو، لازم في هذه الأيام تجمع قلبك ما استطعت بذكره وشكره والثناء عليه سبحانه وتعالى، ثم توفق إن شاء الله في عشية عرفة إلى الدعاء.

ثم تنتهي عشية عرفة وتغيب الشمس، أنا أحذركم من خطأ يقع فيه الحجاج دائماً، يصلون الظهر والعصر ثم ينسون أنفسهم وينتظرون الساعة الرابعة، هذه الأيام النهار قصير، ومن قال لك أن الوقت الأخير خير من أول الوقت!؟

النبي صلى الله عليه وسلم خطب بالمسلمين صلى الظهر والعصر، ثم ركب ناقته واستقبل القبلة ورفع يديه من ذلك الوقت إلى غروب الشمس، حتى أن ناقته كانت تتحرك فتقع فيبقي يده واحدة مرفوعة والثانية يحمل به خطام ناقته! لهذه الدرجة، يعني ماكان في لحظة ينفلت عنه الدعاء، فتصور هذه العناية الشديدة.

^٨ "سنن الترمذي" (كتاب الدعوات / باب في دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ / ٣٩٣٤) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

كل الذي تريد أن تفعله أن من راحة وأكل وشرب قبل العشية (قبل الظهر)، لكن بعده وقت نزول الرب إلى السماء الدنيا بياهي الملائكة بالعباد، والله عز وجل لا يياهي إلا بعباد مغفور لهم ذنبهم، يحتاج مباشرة أن أبادر بالتوبة والاستغفار، بسؤاله بأن يغفر الذنوب، كي يغفر لنا ويياهي بنا الملائكة ثم تغيب الشمس، تسأل الله عز وجل يجعلها شمس تغيب على مغفور لهم، أسأل الله عز وجل لي ولكم وللمسلمين أجمعين.

ويبدأ من هنا النفرة إلى مزدلفة .. لازال القلب راحلاً، لا زال في القلب شعورين بين خوف ورجاء. رجاء أن تكون من المقبولين، وخوف أن لا تكون من المقبولين، ماذا سيفيدنا الخوف من أن لا نكون من المقبولين؟ لا أحد بعد هذه العشية يختم لنفسه أنه مقبول، ولا أحد يقنط نفسه من قبول الله عز وجل، لا هذا يصح ولا هذا يصح.

ابق على عبادتي الخوف والرجاء.

ثم تبقى هذه العبادة إلى أن نجد مكان إن شاء الله ونصلي المغرب والعشاء، ثم نبات في مزدلفة.

اليوم العاشر يوم العيد ورد في الحديث: ((لِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرَنِ))^٩، يوم النحر العاشر، ويوم القر الحادي عشر.

في هذا اليوم تجتمع العبادات العظيمة من رمي الجمار وطواف الإفاضة والذبح، عمل قلبك الآن أن ينتهي عن كل لاهي ويبقى منشغلاً بذكر الله، وهذه **أحد علامات القبول**. يبقى قلبك في هذا اليوم العظيم الذي يحبه الله الذي هو أعظم أيام الدنيا أن يبقى **ذاكراً لله**.

اختلف أهل العلم هل يوم عرفة أفضل أم يوم العيد؟ بعض أهل العلم قالوا الحج عرفة يعني بداية الأيام، بداية الحج هو عرفة، لكن هذا لا يعني أن اليوم العاشر ليس أفضل من عرفة، لأن الحديث: ((لِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرَنِ)).

فصار أعظم أيام الدنيا اليوم العاشر! البعض يعامله مثل ما يعامل بعض الناس في رمضان ليلة ٢٩، نظن أن ليلة السابع والعشرون هي ليلة القدر والبعض يجتمع يوم الثامن والعشرون ليختموا القرآن، وبعدها انتهى، ليلة التاسع والعشرون آخر ليلة في رمضان يعتق فيها من النار مثل ما يعتق في الشهر كله، الناس يوم التاسع والعشرين ينظفون بيوتهم ويشترتون من السوق! الشيطان يضع لنا حد قبل انتهاء العبادة لأنه ما استطاع أن يفسدها من أولها، فماذا يفعل؟ يفسدها في آخرها.

^٩ "سنن أبوداود" (كتاب المناسك / باب من نحر الهدى بيده واستغفان بعثره / ١٧٦٧) صححه الألباني.

فهذا اليوم يوم العاشر مغفولٌ عن تعظيمه، يوم العاشر من أن تشرق شمس يوم العاشر إلى أن تغيب شمس، لا بد أن تكثر فيه من الذكر، رمي الجمرات هذا عمل عظيم يجب أن تعظمه، **لأن الله عظمه**، عبادات الحج كلها مبنية على تعظيم ماعظمه الله، فيبقى قلبك معظم، ذاكر، لاهج.

ثم إذا رميت جمرة العقبة في هذا اليوم، وأنت ترمي كل جمرة تكبر الله، فمن أين لك قلب تجمع وقت الرمي؟ شيء صعب أن أجمع قلبي على تعظيم الله وتكبيره وقت الرمي. ستجد قلبك لو جمعته طول النهار، تجمع قلبك طول النهار وقت قيامك بالعبادة يصلح منك، لأن هذه القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء، فلو أحسنت في أول الأمر أحسن الله إليك بأن يجمع عليك قلبك.

اليوم الحادي عشر يوم القر من أين يبدأ؟ من غروب شمس يوم العاشر، هذا اليوم الثاني بعد اليوم العاشر في تعظيمه، لا تضيع لا بد أن تبقى مجموع القلب على ذكر الله، هذه أيام أكل وشرب وذكر لله.

ذكر الله سيكون الاستعانة به من ماذا؟ بأكلك وشربك، ولذلك في هذه الأيام مكروه الصيام، لماذا يكره الصيام؟ **لأنك الآن في ضيافة الملك**، فأكثر من ذكره وشكره والثناء عليه واستمتع بما أعطاك الله عز وجل وأنت تفكر في الضحى. أسأل الله عز وجل من فضله، الضحى الذي يستقر فيه أهل الجنة في الجنة. اليوم العاشر في الغالب الناس يستقرون في مخيماتهم ضحى، وهذا اليوم العاشر يشبه يوم استقرار الناس في الجنة، ويقون لاهجين بحمد لله، ما ينشغلون، يأكلون ويشربون ويحمدوا الله ويذكروه.

أهل الجنة يلهمون الحمد كما يلهمون النفس، لا ثقل فيه! فتصور تلك الصورة وأدخل نفسك في زمرة، فابقي يوم (١٠، ١١، ١٢) كثير الذكر.

ثم تعجب من انتهاء الحج، كيف أن المجتمعين يفترون في لحظة، في لحظة كل الناس يفترون وهذه بالضبط صورة الحياة وصورة الافتراق، فإلى ماذا يفترون؟ كما أن أهل الموقف يفترون فريق إلى الجنة، ونعوذ بالله فريق إلى السعير. هذه الخمس أيام هذه نموذج الحياة، لا بد من كبد، لا بد من مصاعب، لا بد أن تنظر لها بعين قلبك، وتعلم أن ما تنزود به من إيمان وذكر لله عز وجل يكون زادًا لك هنا في الدنيا إلى

أن تقبض وزاد لك لما تلقى الله ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى﴾ البقرة: ١٩٧.

كل أيام الحج من أول يوم إلى آخر يوم تشترك في كلمة واحدة وهي كثرة الذكر.

لما نقول لك أكثر من ذكر الله ماذا يساوي؟ ترك ذكر غيره، ليس فقط ترك المعاصي إنما ترك ذكر أي شيء ثاني، كأن هذه الخمسة أيام توجيه جديد للأمال والأمانى؛ يعنى نحن لو أردنا أن نستمطر أمانينا وغايتها ماذا نريد؟ سنجد ونحن في الدنيا دائماً آخرها نريد الدنيا! كأنه يقال لك هنا لما تستمطر أمانيك اجعل آخرها، اجعل أقصاها وأعلاها رضى الله، ولا بأس الدنيا تأتي راعمة.

ولهذا في آيات الحج في سورة البقرة لما أمرنا الله عز وجل كثرة ذكره قسم الناس إلى أربع أقسام :

١. ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ البقرة: ٢٠٠ يعنى هذه غاية

أمانيه أنه يريد الدنيا فقط.

٢. الثاني ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ البقرة: ٢٠١

الحمد لله هذا خير وبركة أن يطلب الدنيا، ثلاث طلبات واحد للدنيا وإثنين للآخرة.

٣. الثالث ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ البقرة:

٢٠٤، هذا في نفس السياق، ظاهره أنه لا أريد الدنيا، لكن من الداخل متعلق بالدنيا.

٤. الرابع: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ البقرة: ٢٠٧ لا يريد أي

شيء فقط ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ، إذا اشترت مرضات الله، تتصور أن الله

سيحملك فوق طاقتك! بالعكس ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ سيعاملك باسمه الرؤوف، يعاملك برأفته، فأقبل عليه واشتري

نفسك. ل

لكن لا بأس هذا لا يعنى أنه من الناس الصنف الثاني الذين هم ﴿إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ﴾ احذر أن تكون واحد من اثنين يريد فقط الحياة الدنيا، ولا الذي يُظهر أنه يريد الآخرة وهو في باطنه لا يريد

إلا الدنيا.

- ابقى ذاكرًا لاهجًا بذكره مشتغلًا عن كل شيء
- استمطر أمانيك ، اجث عن أمانيك واجعل غاية أمانيك
- أن يرضى الله
- أن يقبضك غير مفتون

■ أن تمر بالحياة التي هي ملك لله ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾ الملك: ١ - ٢

إذا كانت هذه غاية أمانيك صدقًا، أعانك الله عز وجل، وصرف عنك المشاغل في هذه الأيام المباركة وفي الحج وفي الحياة كلها.

أعمال القلوب لا يُملّ من الكلام عنها.

انتهى اللقاء والحمد لله رب العالمين.